كلمة شكيب خوري

بمناسبة "يوم شكيب خوري" – ٢٣ أيار ٢٠١٢

مناسبةٌ ما كنتُ أتوقَّعُها جاءَت من الباب الواسع المشرَّع على المحبَّة... من جامعة الروح القدس، برعاية رئيسها الأب المحترم الدكتور هادي محفوظ.

مناسبةٌ ما كانت لتُبْصِرَ النورَ لولا إيمان نائِب رئيس الجامعة للبحوث الأب المحترم البروفسور جان عَقيقي بأَهميةِ الإضاءَةِ على الدافعِ الذي أَنْشِأَ "مَركزُ الأعلى للبحوث" من أَجله، ألا وهو ضَخُّ الحيويّة في الأبحاثِ التي تناقشُ وتُقَيّمُ نِتاجَ العقلِ ثم توظيفها لصالحِ الإنسانية حاضرًا ومستقبلًا.

من هذا النبعِ التَربويّ والعلميّ تَرتَوي المعرفةُ وتتغلَّبُ على الجَفاف. ديناميكيةُ هذا "المركز" رهانٌ على ديمومةِ الحياةِ في شرايين العقلِ مُبْتَكرِ الحَداثات. يلطِّفُ التقاليدَ والعاداتِ ولا يَخونُ الإرْثَ الأَصيل. والأبحاثُ مَسيرةُ الترقّي إلى إلغاءِ العنصرية.

أشكرُ عُمَداء الكليات: الأَب المحترم البروفسور كرم رزق نائب رئيس الجامعة الأَوَّل، الأَب المحترم الدكتور يوسف طنوس، البروفسور هُدى نعمه، المهندس الياس طعمة. كما أشكر تعاون الأب المحترم بطرس عيد مدير مكتب شؤون الطلّاب على تنظيم هذا الحدث، وأقدِّرُ جهدَ السيّدة غادة شبير الذي تجلّى في براعةٍ موسيقيةٍ وصوتية والشكر موصول أيضًا إلى المساهمة التي قدّمتها السيّدة لينا سعاده جبران.

ولا بدَّ لي هنا أن أعترفَ بإرشاد الأساتذة المثمر للباحثين الطلّاب المتنوعي الاختصاصات، الذين أتوا بأبحاثٍ ستضيفُ إلى أعمالي، بكلّ تأكيدٍ، أَبعادًا كنتُ أَجْهَلُها. فقد سَبَروا مَضامينَ الرّوايةِ والمسرحيةِ والشعر ونَبَشوا المُسْتَتِرَ بين السطور ووَجَدَ كلٌّ منهم حقيقةً ما في إطارٍ محدّدٍ كان له حرّية اختياره، وحقائقَ ستُلَوِّنُ أعمالي كما الربيع. إليهم محبَّتي.

كلُّ تحليلٍ أو كشفٍ عن دلالةٍ أو رمزٍ هو غِذاءُ المؤلِّف، الغِذاءُ النقيُّ، الخالص من شوائب الموادّ الكيميائية.

هل اكتشف فعلًا كل منهم حقيقةً؟ تقول أَبحاثُهم: "نعم" ومع ذلك استنجدتُ بالردِّ على هذا السؤال بلويجي بيراندلّو (Luigi Pirandello) الذي أَجابني: "إنَّ الحقيقةَ رأيٌ خاصٌ بصاحبِه". فسُررتُ. ولمزيدٍ من التوضيح، ذهبت إلى أُوغست سترندبرغ (August Strindberg) أتوسَّلُ رأيًا يدعمُ فلسفةَ بيراندلّو أو يَنفيها. كان

سترندبرغ منشرحًا على غير عادته، وقال: "هذه الحقيقةُ من رَحِمِ اللاوعي تستيقظُ في رحلةِ الأحلامِ والكوابيس وعندما يُرْهِقُها تَراكمُ الذِّكرياتِ تَسْتَعينُ بعالَمِ الوَعي ثم تستريح... تَرْكُنُ في حِكايةِ إِرثِ الباحث وتشكِّلُ وجوهًا: ترتيلة، لوحة، قصيدة، سيمفونية، رواية، مسرحيّة، اختبارًا علميًّا أو نظريّةً تُفَلسِفُ توجهاتِ الباحث، وفي الوقت نفسه تُخَلِّصُه من أَرَقِ البَحث".

وأشكرُ أَيضًا الدكتوره رنده أبي عاد التي شَحَنَتْ هذا اللقاء بكلّ طاقاتها، ولَن أَنسى عائلتي – كلية الفنون الجميلة والفنون التطبيقية: الدكتور پول زغيب وجميع الأساتذة والإداريين الذين غَمَروا بسواعِدِهم الدافئة وبأفكارهم النَّيِّرة هذه المناسبة.

وإلى البروفسور نعوم أبي راشد الذي أَحبَّ رواياتي وحلَّلها قبل أن يبحثَ عنّي، والذي تحمَّل عَناءَ السفر ليكونَ حضوره هنا دعمًا لهذه المناسبة، أقول له: مَنْ يَحِنُّ إلى الفكرِ والعلمِ والفلسفةِ والفنونِ ويناضلُ في سبيل تطويرها هو أُمٌّ حنون، لأنَّه يتحلّى بطباع المحبَّة والعطاء.

بهذه المناسبة يعايدُني "المركزُ الأعلى للبحوث" ويذكّرنا جميعًا، برفاقِ جيلي المبدعين. وقد جَلَبَ كلّ واحدٍ منّا هويَّتَه الحضارية: من الشمال والجنوب، والبقاع والشوف، والمتن وكسروان، والهرمل وعكّار، ومعًا كنّا نصارعُ كي نتغلَّبَ على تعقيداتِ طرحِ الجديد والمدهش. نتألّم ونبكي وأَحيانًا نتوهَّجُ كما الفرح. وقبل أن تقتنصَ الحربُ سنواتِ النضوج، كُنّا نَنموا مَعَ الوطنِ الناشطِ على مختَلَفِ الأصعدة. وينظر مبدعو العالمِ البَعيدِ والقريبِ بإعجابٍ إلى بيروتَ التي تَنبضُ بحيويةِ الإبداع والخَيالِ وترقصُ مَنابِرُها وجامعاتُها ومَعارضُها ومَسارحُها على إِيقاعِ الأَحلام والآمال والطموح.

أَثْبَتَ هذا اللقاءُ أَنَّ الأكاديميّ هو الباحثُ الصادق الذي يغوصُ إلى الأعماق، ويتصيّدُ لآلئ العقل، ويُصقِلُها ويقدِّمُها إلى طلّابه بتواضع.

لقد أسقطَت بَرمجةُ هذا اليوم خيمةَ الشخصانيّة التي لا تعترف بفكرِ الآخر ولا بإسهاماته. الشخصانيّةُ عَجرَفَةٌ، خَيمةٌ هَشَّةٌ تُظَلِّلُ مُنْتَحِلي المعلومات الذين يتنكَّرونَ لإنجازاتِ مواطنيهم. يَنهلونَ من مؤلّفاتِهم ولكنَّهم أوفياء فقط للمراجعِ الآتية من بلادٍ أُخرى. يتنافسون على الاستشهادِ بكل ما هو غربيّ. ويستذكرون أَسماءَ أَصحابِها للتشاوفِ، وفي الظروف إيّاها يتجاهلون مُفكّري وطنهم ويطمسونَ إنتاجَهم. وهكذا تَتَناسلُ الشخصانيّةُ على حِسابِ العِلْم.

أَعطيْتُ هذا المثل للإصرار على أَهمية "المركزِ الأعلى للبحوث" لجامعتِنا، ولأُشيرَ إلى نُبلِ أَهدافِه: "الاعتراف بالقريب والبعيد". والبعضُ منّا يذكر بأنَّه سبق هذا اللقاء مناسبةٌ مماثلةٌ خُصِّصَت للفيلسوف الفرنسي موريس مارلو پونتي (Maurice Merleau-Ponty). وكان باستطاعة "المركز" أن يقدِّم لطلّابه شخصيةً أوروبيةً أو أميركيةً ذات شهرةٍ عالمية.

ويؤسِّسُ هذا الانفتاح المُسَيَّجُ بالتواضعِ الشامِخِ والحَكيمِ الهُوِيَّةَ الحضارية. أَوَليسَ التواضعُ صِفَة الكبارِ وفي الوقت نفسه هو هدفُ الأبحاثِ السامي كما الإبداع؟

لقد تميَّزت جامعة الروح القدس بأَفعالٍ واقعيّةٍ تُنعِشُ الإنسانَ عَبْرَ بَعْثِ العقلِ، وعَبْرَ تنوير إنسانٍ يتمتَّعُ بخِصالٍ تُعينُه على مُواكَبَة المستَجِدات، تُمَنْطِقُ حُرّيةً سَويَّةً لوجودِه كي يبقى وَفيًّا لجذورِه وللانفتاح يكون نصيرًا ... ودائمًا برفقةِ الإيمانِ المقدَّس الذي يقودُه إلى العمرانِ وإلى حياةٍ كريمةٍ تَليقُ به.

بجملةٍ من مسرحية "كما تهواه As You Like It" لوليم شكسپير (William Shakespeare) أَطبعُ انتمائي إلى هذه الجامعة:

"أُحِبُّ هذا المكان وبطيبةِ خاطرٍ أُمضي حَياتي فيه."

(الفصل الثاني، المشهد الرابع)